نسرين البخشونجي

# عـالـم ضَـيّـق

## مجموعة قصصية

إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة 2025 م

**الفهـرس**

عالمٌ ضَيِّق ........................................................ 3
كائنٌ بالغُ الصِّغَر ........................................................ 5
المرحومة........................................................ 6
اللعبة ........................................................ 7
انتظار........................................................ 8
تاكسي ........................................................ 9
مرآة........................................................ 10
دفتر أيام الخوف........................................................ 11
لقاء ........................................................ 14
حاملة الأسرار ........................................................ 15
مفتاح صول ........................................................ 16
توحُّش ........................................................ 17
ذات جنونٍ ........................................................ 18
حياة........................................................ 19
التخلّص من الوحدة ........................................................ 20
صمت ........................................................ 21

# عالمٌ ضَيِّق!

وحدك تواجه هذا العالم الغريب، تدخله بكامل إرادتك على غير العادة، يحدث أن يستحيل الأزرق رمزاً للقسوة والجنون؛ النّداهة التي تدّعي أنَّها تخطفك من عالمك بلا هوادة، تنقلك بين شعور وآخر.. بسرعة البرق ثم تتركك وحيداً في روحك وقد انطفأت، تحاول فكّ الشفرة والتحرر.

***

كل عدة أيام تصلها رسالة على بريدها الإلكتروني من العالم الأزرق، تطلب منها أن تعيد اختيار الأشخاص الموثوق بهم، فهم من سيتحكمون بصفحتها حين تسافر إلى عالم النور. لا تفتحها، تحذفها دون تردد، فهي لم تقرر بعد إن كانت ستتركها أم سترغب في محوها إلى الأبد. معنى الحياة يلتبس عليها، حين تصادف صفحة أحد الأصدقاء وعليها كلمة "للذكرى".

***

كتبت إحداهنّ على حائط إحدى مجموعات العالم الأزرق سؤالاً بصيغة ساخرة: مع من أقف في هذه الحرب؟!

فردّت عليها أخرى: مع الحرية والحياة.

***

الآن، عليها أن تُجمِّد مشاعرها لبعض الوقت، أن تتجاهل الفقد وتعلن نبأ وفاة والدها، عليها أن تكتب نعياً يليق بمفكر كبير لتنشره في العالم الأزرق، جاهدت كثيراً وهي تكتب، روحها تنسحق مع كل حرف، راجعت الصيغة جيداً بينما عيونها ممتلئة بدموع متحجرة، شعور بالثقل تملَّكها، ترددت لبضعِ ثوان. ثم ضغطت.. "نَشر".

الآن وقد أنهت مهمتها، أغلقت الكمبيوتر، ثم سمحت لنفسها بممارسة الفقد، تعلم أن كارهي والدها أكثر من محبيه، وتعلم أن هناك من سينشرون صوره وعليها تعليق "نفق فلان"، ما لم يخطر على بالها أبداً، أنها حين ستضغط.. "نَشر"، سوف يضغط الآلاف من جنود الحرب المقدسة على "إيموشن" هاهاهاها، ليس فقط على النعي، بل وعلى كل من كتب تعزية تليق بوفاة إنسان.

***

لماذا يبدو العالم على رحابته ضيقاً أكثر ممَّا ينبغي؟ لم تعد تعرف كيف تختبئ من العالم الأزرق، ولا إلى أين تذهب؟ أغلقت صفحتها عليه لعدة أشهر وارتاحت حين انضمت إلى عالم المتحدثين.

"ربما أجد نفسي بين هؤلاء، ربما أجد مساحة للوجود كإنسانة يمكنها أن تُعبِّر عن نفسها"

لا تجيد الحديث ولكنها قابلة للتعلُّم. هناك الكل يتحدث، يُعبِّرُ عن نفسه، ويتبجَّح حين يجد مساحة لذلك. حين تندَّر عليها أحدهم، هربت كعادتها، عادت إلى العالم الأزرق، ظنَّت أن لا شيءَ سيذكِّرُها بما حدث، والآن عليها أن تهدأ، ستفعل ما يحلو لها في مساحتها الخاصة وتحافظ على مساحة الآخرين.

مرّ يوم.. اثنان.. خمسة عشر يوماً لم يعكر صفوها إلاَّ تلك الرسالة اللعينة التي أرسلتها لها صديقتها المقربة: "الراجل مات".

لم تفهم سر الارتباك الذي احتل مشاعرها لحظتها، لم تجد كلمة تقولها أو تُعبِّرُ بها.

الله يرحمه.. أشوفك بكرة، ليلتك سعيدة!

من باب الفضول قرّرت أن تعود إلى عالم الأصوات، وجدت ما كانت تتوقعه، صورته احتلت بعض حسابات من تتابعهم، وغرفة تلاوة قرآن فُتحت باسمه، بعد عدة ساعات سيفتحون غرفة للحديث عنه.

ما لم تتوقعه، أن تجد رسالة من شخص مجهول يبلغها بخبر وفاة الشاعر ويطلب منها أن تسامحه!

***

ظهر أمامه منشور قديم كتبه منذ عشرة أعوام، يمدح فيه إحداهن ويصفها بالوطنية الأصيلة، لم يمنعه من إعادة النشر سوى خوفه من أن يصفه أحدهم بالساذج، السنوات كانت كفيلة بكشف النفوس.

***

وحدك تحاول فك شفرة هذا العالم.. ربما تتحرر!

# كائنٌ بالغُ الصِّغَر

هذا الصباح لم يبقَ من فنجان قهوتي سوى لونها البني الغامق، وقد زال طعم المرارة منها، والتوليفة الخاصة التي رشّحها البائع لزوجي، لم يعد لرائحتها أثر في أنفي، في مثل هذا اليوم، منذ عشرة أعوام، اكتشفت أنَّ كائناً بالغَ الصِّغَر ينمو داخلي، حاسة شمي صارت أقوى بشكل لافت، شعرت حينها بالانتصار، يومها شممت رائحة برتقالة فاسدة في المطبخ وأنا جالسة في غرفة المعيشة، بينما يعد زوجي كوباً من الشاي الأخضر بالياسمين، طلبت منه أن يفتش عن تلك البرتقالة، لم أكن أعلم، أنَّ اليوم وبعد عشر سنوات سيحتل جسدي، للمرة الثانية، كائنٌ بالغُ الصِّغَر، ويسلبني حواسي الأقوى ويمنحني ذلك الشعور بالهزيمة.

# المرحومة

حروف اسمها حزينة، حتى أنها رفضت أن تُكتب اليوم في نعي صاحبتها المنشور بالجريدة العريقة، لا يسمح لهم بالخروج لذا كانت الحروف تتلاشى تلقائيا عند عتبة باب الشقة، تتبخر واحدة تلو الأخرى ليدخلوا إلى البيت مجدداً من فتحة المفتاح، اعتادت أن تنظر من العين السحرية على الأطفال اللذين يلعبون بالخارج، لم يسمح لها والدها أبداً باللعب معهم، حين شبَّت، صارت تراقب الناس في الشارع من فتحة الشيش الخشبي ذي اللون البني الغامق. هذا الشيش كان في الأصل شرفة كبيرة أغلقها والدها قبل أن يتزوج بأمها، بعد زواجها التقليدي تراجعت حروف اسمها فلم تعد تسمعه في غرفة نومها، مجدداً صارت الحروف تنسحب إلى الداخل، مثل الجنيات الصغيرات يتركن أثراً سريعاً في الهواء، بعد سنوات قليلة لم يعد اسمها يُنطق منذ استبداله بكنية "أم ..." حزنت الحروف كثيراً، واختبأت في دولاب الملابس داخل جيب البالطو الأسود الصوف الذي اشترته للجهاز قبل الزواج. يوم وفاتها رفضت الحروف أن تخرج أو ربما لم تعرف كيف تخرج بعدما صار البالطو داخل حقيبة سفر منسية في السندرة.

# اللعبة

جلستْ في المقعد الخلفي للمسرح، لتشاهد العرض بشكل أفضل، الإضاءة خافتة حولها ومسلطة على وجوه الأبطال، الآن يمكنها أن ترى ملامحهم بشكل أفضل، بدأوا جميعاً في الحركة على المسرح، مثل عرائس الماريونيت. قلبها ينبض بقوة، يبدأ الممثل في لعب دوره، وحين ينهي جملته الأخيرة، وقبل أن تصفق، تربّت بيدها على كتفها. يبدأ الآخر الذي يعيد نفس الحوار تماماً، ينصت له الجميع باهتمام بالغ وكأنهم يسمعون كلماته للمرة الأولى، وهكذا تدور الدائرة، يستبدلون الأدوار ويعيدون الحكاية، يتحدثون عنها، فهي البطلة، المنسية. ليست تلك المرة الأولى التي تشاهد فيها عرضهم، وربما لن تكون الأخيرة.

عرض زائفٌ

تقول لنفسها

أحسنت

تقول... كلما انتهى أحدهم من كلامه!

# انتظار

بشعرها الأسود المعقود للخلف، تختلس النظر للجالسات بطرف عينها بينما تُقلّب صفحات كتالوج قصّات الشعر للأطفال، ترتدي فستاناً بلون السماء وسحابِها، وعلى الجانب الآخر، فتاة يملأ جسدها الكرسي، انتهت للتو من تمليس شعرها القصير، بنظرة آمرة رمقت ذات الفستان السماوي، وسارت خلفها في صمت.

# تاكسي

بمجرد أن وقف بسيارته البيضاء أمامها، قرّرت أن تقفز داخلها دون تفكير. لديها موعد وتخشى أن تتأخر، وهي من يعرف عنها الجميع دقة المواعيد؛ في الأيام العادية يصيبها التوتر قبل أي مقابلة، ويزداد توترها كلما ابتعدت عن منطقة وسط البلد، فهي لا تعرف شيئاً عن المناطق الجديدة؛ في الأيام العادية لا تستخدم التاكسي العادي في المشاوير التي لا تعرف طريقها. بمجرد أن ركبت، بدأ العداد في العمل.

"كل شيء سيكون على ما يرام"

حدَّثت نفسها

لكن السائق ابتعد كثيراً عن المكان الذي تودّ الذهاب إليه، هكذا فهمت من الـ GPS على هاتفها. ازدادت حدة توترها، كتبت لأصدقائها أنها ستتأخر، ثم أرسلت لهم موقعها ليتمكنوا من متابعتها. كل الأفكار السيئة دارت في عقلها، وفي عقله فكرة واحدة لا يريد أن يحيد عنها... ... ...

"كيف يمكنني أن أزيد سعر التوصيلة".

# مرآة

وحيدة تماماً في البيت، تشعر بمرارة الفقد، للمرة الأولى ترى براح العالم، وتشعر بقسوة الحياة، بينما الناس منشغلون دون كلل. وحيدة تشاهد شروق الشمس وسطوع القمر وتحتمل الطقس الشتوي القارس، فقبل أيام شهدت انهيار سيدة المنزل حين أتى الموظف وأبلغها بقرار الإزالة. صرخت، بكت، تشنّجت، لطمت وتمرغ أمانها على بلاط الشقة؛ الذي لا يزال يحمل أثر الماء والصابون برائحة الورد. لاحظت ارتباك أهل البيت وهم يتحركون بسرعة فائقة، يلملمون أشياءهم ويضعونها دون ترتيب في الحقائب والكراتين، الكل مشغول، وقد بدت ملامح الحزن والقلق على وجوههم، عليهم ترك المنزل حالاً قبل أن يأتي بلدوزر الحي؛ لم يكن لها مكان في السيارة التي حملت أثاث المنزل. وحيدة تحمّلت صوت ارتطام البلدوزر بالمبنى، رأت انهيار الحوائط الثلاث، سمعت شهقات السكان ونواح أرواحهم؛ تركوها ورحلوا، ولم يبقَ من البيت سوى ذلك الحائط الذي تستند عليه.

# دفتر أيام الخوف

حين سمعت نبأ انتشار الفيروس في نشرة الأخبار أعطيت ظهري للتلفزيون وصمَمْت أذني، دخلت حجرة أولادي لأجهز ملابس المدرسة، غاضبةً أفكر في حل لمشكلة أولادي مع إدارة المدرسة، وأريد الفرار من الوطن.

***

ذكَّرني الموقع الأزرق بصورة مبهجة التقطتها لي صديقتي في آخر لقاء بيننا، قبل أن يحتل الفيروس بيوتنا وأجسادنا. زرنا منطقة أثرية، مبهرة حقا تلك الأماكن على حوائطها آلاف الحكايات.. لأبوابها عبق إنساني مريح، تخيلت الحياة قبل مئة عام... تأملت نفسي بعد مئة عام.

***

قالوا لنا "فرّوا من العاصفة ولا تخرجوا". مرت العاصفة وتجمَّدت حياتنا.

***

"خليك في البيت" الجملة التي لازمتنا ليل نهار على شاشات التلفزيون والموبايل.

***

في البداية أخذتنا الحماسة أو بالأحرى امتلأنا بالرعب، فقررنا ألَّا يدخل بيتنا أحد، بمَن فيهم السيدة التي تساعدني في المنزل، قسّمنا الأعمال المنزلية، نظّفنا البيت بكمية كبيرة من المطهرات، اشترينا ما نحتاجه لمدة شهر أو أكثر، ومكثنا في سجن اختياري.

***

أقمت عيد ميلاد ابنتي ودعوت جميع أصدقائها، غنَّينا لها وتمنى لها الجميع عاماً سعيداً.. كلٌّ في بيته.. كلٌّ في غرفته.. كلٌّ في سجنه.

***

كل البلدان التي فكّرت أن أفر إليها، اجتاحها الطوفان، الحياة تحولت إلى أرقام معلنة،

الإصابات والوفيات، لم تعد قنوات التلفزيون تختلف عن بعضها، الكل يبث مباشرة لقاءات مع الأطباء.. صارت البرامج كلها تشبه برامج كرة القدم.. استديو تحليلي لبشر يتساقطون. أرتعش داخليا كلما سمعتها حتى أبدو متماسكة أمام أطفالي. الأرق التهمني وأنا أحاول وضع خطة حماية.

***

قاومت مخاوفي ورعشتي الداخلية بالعجن؛ أعجن البيتزا، الفطائر والخبز، وأهدئ نفسي وأنا أضغط على العجين. لم أكن الوحيدة، الهواء ممتلئ برائحة المخبوزات والفانيليا.

***

تحوّل البيت إلى مدرسة؛ أو بالأحرى المدرسة صارت في البيت. لشهور طويلة صرت ألعب أدوراً لا أعرفها.. لا أجيدها ولا أحبها، أنا المعلمة والأم، في البدء أعددنا جدولا يرضي جميع الأطراف؛ مواعيد محددة لكل مادة أو نشاط.. خلال فترة النشاط بالأسبوع الأول أعدَّت ابنتي حبلاً للزينة، استخدمت أوراقاً ملونةً وقصتها على شكل طيور، نجوم وأهلَّة، وصنع ابني جلاً مطهراً بخامات بسيطة، بدأت مواعيد الجدول تتسرب منا يوما بعد يوم، كما يتسرب الزمن فلم نعد نعرف في أي يوم نحن.

***

الملل صار صديقنا المقرّب، نخرج لنتمشى بالسيارة، نجوب شوارع القاهرة بغير هدف، كل شيء مقبض ومخيف، المحال المغلقة في وسط البلد، الشوارع تكاد تكون خالية من المارة، والوجوه التي اعتدت تأمل ملامحها، لم يعد يظهر منها سوى أعين تشتاق للماضي القريب.

***

النظر إلى السماء في الصباح صار بهجتنا الوحيدة، صنع الأطفال طائرات ورقية ملونة لتحمل أمنياتهم بالخلاء، وفي المساء يستحيل البراح بقعاً من نور وصمت.

***

وكأني وُلِدت من رحم الخوف، مع الأيام تبددت رغبتي في العجْن، صرت لا أقوى على فعل شيء، أجلس لساعات طويلة أنظر باتجاه الحائط، أو أشاهد أفلاماً ومسلسلات، تَمزّق جدول الحصص المنزلية.. احترقَ بنار القلق.

***

لم يقبل زوجي أبداً بفكرة السفر والبعد عن الوطن، كان ردّه الدائم: أريد أن يكبر أن أولادي وسط عائلاتهم. وماذا الآن، أعوام ثلاثة قضيناها دون أن نراهم، واكتفينا بسماع أصواتهم أو بمحادثتهم بالفيديو؛ هذا ما يمكن أن أسميه هجرة إجبارية.

***

كلما مررت بالشارع المؤدي لبيت صديقة أمي، التفت لا إراديا ناحية الشباك المغلق منذ حين، تغيّر صوتها كثيراً عن آخر مرة تحدثنا فيها، صارت فيه بحّة وكأن أحبالها الصوتية مقطوعة، جرفها الطوفان.. ولم تعد.

***

أعطتني ابنتي قطعة شوكولاتة، لبضع ثوانٍ فقدت التركيز، أين تكون؟! ظننت أني تركتها في الطبق أمامي، أو ربما وضعتها في مكانٍ آخر ونسيت؛ ثم أدركت أنها في فمي الذي لم يتعرّف إلا على سكّر الشوكولاتة ومرارة القهوة دون أي مذاق آخر، ونسي أنفي رائحة المخبوزات والفانيليا، أدركت لحظتها أنِّي وقعت في الفخ.

# لقاء

الانتظار لم يكن مملاً هذه المرة، ثمّة شعور بالراحة يتسلل داخلي كلما نظرت لتلك المرأة الجالسة أمامي، لفتت نظري حين ابتسمت لأحد العاملين بالمكان؛ فظهرت أسنانها مصفوفة وكأنها قطعة واحدة من دون فراغات... فستانها أزرقٌ، زيّن رقبتها خيط تعلّقت به الأصداف البيضاء... وعلى أذنيها تدلّلت صدفتان أخيرتان، تُراها تسمع صوت البحر؟

تساءلت!

***

الانتظار لم يكن مملاً هذه المرة، أنظر إليها دون أن تنتبه، تلك التي تتفحصّني وأنا أحاول أن أبدو غير مكترثة بجديلة شعر سوداء منسدلة بخفة على كتفيها.. تزيّن أذنيها قطعة زمرد معشّقة بحرف عربي مصنوع من الفضة.

***

الانتظار لم يكن مملاً لهنّ هذه المرة، ألقين سلاماً عابراً بعدما التقت أعينهنّ لبضع ثوانٍ؛ ثم التفتن في ذات لحظة، لأم تهدهد طفلتها الناعسة بحنانٍ، خطر ببال إحداهنّ أن تكتب ورقة للأخرى، رسالة عابرة في صالة سفر، لكنها انتبهت لما يقوله الموظّف في مكبر الصوت، خلال لحظات لملمن أشياءهنّ ثم عبرن واحدة نحو اليمين والأخرى نحو الشمال، لكن ذكرى لقائهنّ لن يكون عابراً..

# حاملة الأسرار

حين قصّ البستاني فروع الشجرة القريبة من شبّاك غرفتها، لم يكن يعلم أنها اعتادت الصحو على تغريدات سكّانها وأن تلك الأصوات تسعد روحها، ولم يعرف أنها حمّلت كل ورقة فيها أسرار غربتها، بينما تهتزّ مع نسمات الغروب، ولا أنها رأت ملامح وجه أبيها تحتل ملامحها، بينما تنظر من خلف الزجاج إلى شجرة التوت الأحمر في عيد ميلادها الخمسين.

حين قصّ البستاني الأوراق الخضراء ليحرقها في الليل كي تبتعد الحشرات عنه، ترك بعضاً منها ليحترق أمامها بفعل الشمس على الجدار ذي السلك الشائك.

# مفتاح صول

الذين خرجوا من المدينة اليوم، قالوا لي إن كل شيء تغير مذ أمطرت السماء أغنياتٍ ووروداً. في البدء احتلت السماءَ غيمات بيضاء، ثم هطلت زخات حزينة وورود بنفسجية، تغيّر فجأة لونها للأخضر، وأمطرت وروداً حمراءَ وبيضاءَ... وسيلاً من الألحان المبهجة ملء الشوارع. يقولون إن مفتاح صولٍ زُرع في قلب المدينة فلم يعد قاسيا، وأنها صارت أعذب المدائن.

قلبي الذي انتزع مني داخلها كان طاهراً بما يكفي... فتحرر.

# توحُّش

في الصباح تتوسع المدينة الجديدة كوحش يتغذى على أرواح البشر، تمنحهم آخر النهار فتات حلم يابسٍ وقطرات أمل هلامي، بينما تتقلص المدينة القديمة بشوارعها وذكرياتها في قلوبهم مثل طفل حزينٍ ووحيدٍ.

# ذات جنونٍ

ذات لحظة، ستقبض على نفسك وقد صارت المشاعر داخلك ملتبسة، ستخدعك الحقيقة حين تستيقظ حائراً في غرفة عقلك، هل أنت الغريب داخل الوطن أم أنت خارجه؟

كل شيء أمامك لم يتغير، الغرفة المربعة ذات الطلاء الأبيض، الستائر الأرجوانية التي تحجب نور الشمس، سريرك الكبير الذي تجلس في منتصفه تماماً وحيداً، شعرك الذي تفوح منه رائحة الفاكهة بفعل البلسم المرطب الذي اعتدت أن تشتريه من هناك أو من هنا... لا تتذكر. أنت الغريب الذي يتنفس هواءً صارت رائحته تميل إلى العفن، ولا تدري إن كانت بسبب رطوبة الجوّ أم روحك هي التي أصابها العطب؟

ذات جنونٍ... لم تعد تدرك اللحظة... ستقبض على نفسك وقد صارت كل الأسئلة داخلك إعصاراً... هل أنت الغريب داخل الوطن أم خارجه؟!

# حياة

أثناء جلستنا الصباحية المعتادة، تحدّث الجميع عن الزمن وما يفعله بنا، يتحدثون عن التجاعيد وترهّل الجسد، لم تجد ما تقول، بقيت صامتة تتأمل انطفاء روحها وترهّل مشاعرها.

* * *

كل التواريخ صارت بالنسبة لها سواء، فصول السنة تبدأ بأعياد ميلاد وتنتهي بذكرى وفاة.

* * *

لم تشعر بالزمن أثناء ولادة طفلها، لكن الوقت الذي أمضته حتى تستطيع رؤيته كان أطول من الدهر.

* * *

حلمت بابنتها قبل ميلادها بأعوام عشرٍ، كانت مستلقية على ظهرها وطفلتها على صدرها... يستقبلن نسيم البحر الهادئ، الرمال من تحتها ذهبية، أثناء شروق الشمس.

* * *

ملأت رائحة المدينة الصغيرة التي نشأت فيها أنفها، بينما تشاهد بعض صورها القديمة.

# التخلّص من الوحدة

بينما أنتظر دوري، التقيت معلمتي خارجة من غرفة الطبيب، للمرة الأولى بعد عشرين سنة، وجهها يضيئه الأمل، قالت لي إن ذراعها المبتور بدأ ينبت، وقريبا سيكون لديها ذراع جديد. منذ سنوات طويلة، قطعت معلمتي ذراعها الأيمن، لتنجو ... من وحدتها. لم تَظهر جروحها بشكل واضح، لذا؛ كذّبها جميع من حكت لهم.

# صمت

الصرخة التي أطلقتها كانت حادة بما يكفي لجرح إنسانية الواقفين بجوارها، لكنها نسيّت أنها في مدينة الطّرشان.